

## صورة الموت في رواية " الموت عمل شاق " لـ خالد خليفة

-قراءة بانورامية دلالية-

**Death's image in « Death is hard work » by Khaled khalifa**

**-Panoramic and Symantic lecture-**

د/فضيلة مادي<sup>(1)</sup> \* . د/ بختة هواشيرة<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> جامعة بومرداس، الجزائر، f.madi @univ- bumerdes.dz

<sup>(2)</sup> جامعة البويرة، الجزائر، b.houachria @univ- bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2022/08/14؛ تاريخ القبول: 2023/05/22؛ تاريخ النشر: 2023/06/05

### ملخص:

تقدّم رواية: الموت عمل شاق للروائي خالد خليفة صورة بانورامية شاملة لمشهد الموت الدامي في الأراضي السورية، إثر رحلة شاقة لجثة الأب عبد اللطيف التي تتعرض للاعتقال المؤقت بين دمشق و حلب، و تُمنع من الدفن بحجة أنّ صاحبها من الأسماء المعارضة للدولة و نظامها. فعلى الرغم من تحوّل هذه المدينة إلى مقبرة جماعية، إلا أنّ الموت بها أصبح عملاً شاقاً يصعب إنجازه. تعري الرواية الواقع و تستقرئ الداخل الإنساني بذائقة تؤرّخ لعذابات الإنسان في المكان، حيث يناضل الأموات مثلما الأحياء في سبيل الظفر بحقّ غير قابل للتأجيل: حقّ الدفن بسلام.

الكلمات المفتاحية: الصورة؛ الموت؛ العنف؛ خالد خليفة.

### Abstract:

The novel presents a panoramic picture of death in the Syrian territories, following an arduous journey of the father's corpse which is being temporarily detention between Damascus and Aleppo. It has been prevented from burial on the grounds that the owner is one of the

names of the opposition to the state system. Despite the transformation of this city into a mass grave in the shadow of the political transformations that the country has been known, death in it has been become a hard work in order to win the right of non-deferral: the right to bury in peace.

**Key words:** Image; death; violence; khaled khalifa

### المقدمة:

تجابه الرواية العربية اليوم قضايا عدّة راهنة على قدر من الأهمية في مقدّماتها الحديث عن الهوية، هذا الكيان المتحرّك الذي كثرت بشأنه الدراسات، إلى جانب الحديث المستفيض عن الحروب الأهلية والسياسات العربية المتباينة، من خلال رحلة اكتشاف للذات وللآخر في ظلّ غياب الحوار البناء<sup>(1)</sup>. اشتغلت أسماء روائية كثيرة على تشوّف هذا الراهن لارتباطها الوثيق بالشخصية الفردية أو الجماعية الوطنية في خضم صراع الإقصاء والاستيعاب الذين فرضهما واقع المواجهة الحضارية بين الذات والآخر، حيث أثبتت هذه الأخيرة حضورها على الرغم من كلّ المحاذير التي مارسها النظام الدكتاتوري سابقاً، فـ " بالرغم من كلّ حالات التسلّط الفكري والرقابة والمنع، استطاع بعض الكتّاب تمرير أعمال تنبأت بالثورة وبحتمية سقوط نظام ثقافي بأكمله عبر سرود مجازية أو رمزية"<sup>(2)</sup>، اختلفت إثرها أساليب الكتابة الروائية ورؤاها البانورامية<sup>(3)</sup> جزاء اقتحام الرواية أكثر المواضيع سخونة ارتبطت في مجملها بسياقات سياسية وتاريخية واجتماعية عرفتها البلاد من

(1) ينظر: هاجر مباركي، أزمة الرواية العربية في ظلّ المتغيرات الحضارية- الهوية بين التخلي والحنين،- مجلة مقاليد، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، العدد 08، جوان 2015-م، ص 227.

(2) رياض معسّس، الرواية السورية في عامها الثمانين، الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، العدد 14196، نشر بتاريخ: 10 أكتوبر 2017 -م.

(3) البانورامية كلمة معرّبة من كلمة Panorama التي حوّلت بدورها من كلمة horāma اللاتينية، أصلها إغريقي متكوّن من كلمتين: pan وتعني ( الكل ) و horama وتعني ( المشهد). و مصدرها horan وتعني البحر. تشمل معانيها: - نظرة غير منقطعة للمحيط كاملاً-وتأتي بمعنى مشهد-وتأتي بمعنى صورة ذهنية لأحداث متتالية وتعني الإحاطة والشمولية الواسعة. ينظر: علاء العيادي، ما معنى كلمة بانوراما Panorama؟، مدونة أدبية ثقافية نشر بتاريخ: 03 سبتمبر 2011 على موقع: <http://www.tvquran.com>. وينظر أيضاً: عبد العزيز مشّخص، أساسيات التصوير الفوتوغرافي، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، دط، جدة، المملكة العربية السعودية 1434 هـ، ص 46.

اغتيالات سياسية فردية وجماعية. فهل استطاعت هذه الرواية أن تلخّص هذا المشهد السياسي، تفسيرا لما درج تسميته بمرحلة تداخل المفاهيم وزعزعة اليقينيات وغياب الأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي؟ وهل نجح الروائي في إعادة صياغة الواقع المعيش الذي يمزقه الصراع وتشتته التفرقة؟.

## قراءة في غلاف وعنوان رواية: الموت عمل شاق

### أولاً: غلاف الرواية

يشكّل الغلاف "موجّهاً مُهمّاً لا يمكن للقارئ أن يتجاهله لما له من دلالة تساهم في توجيه توقّعه ورسم أفق انتظاره، ولا ينبغي القراءة في النص مباشرة قبل الولوج إلى النصوص المصاحبة للنص الأدبي، إذ تعدّ هذه النصوص الموازية أهمّ مفاتيح العمل، بل تشكّل رؤية مؤيِّدة لما يرتضيه الكاتب بدءاً من الخلفية ولوحة الغلاف والعنوان واسم الكاتب والجنس الأدبي" <sup>(1)</sup>. إذ ذاك تمثل لوحة غلاف رواية (الموت عمل شاق) لصاحبها خالد خليفة مدخلاً رئيسياً لتقبّل وقراءة العمل وتقريب عالمها الحكائي من القارئ. صدرت الرواية عن دار نوفل مكتبة الفكر الجديد، بيروت لبنان عام 2016 في مائة وخمسون (150) صفحة من الحجم المتوسط. صُمِّمَتْ واجهتها على شاكلة تسمح للقارئ بالربط بين عتبات النص وبين المضمون الكلي للرواية منذ الوهلة الأولى، إذ تظهر على الغلاف خلفية باهتة الألوان تجمع بين اللون الترابي والرمادي والأخضر والأبيض المصفر في تركيبة هلامية متداخلة أضفت ضبابية على تفاصيل الخلفية بشكل أفقدها حركيتها وسلها الحياة، الأمر الذي يدفعنا إلى تكهن الأجواء المسيطرة على العمل والتي تتجلى من خلالها بوضوح حالات الحزن والألم والكآبة والإحباط والمأساة والغبن التي عاشها أبطال الرواية. كما يتوسّط الغلاف مجسم مصغّر لجندي بلاستيكي مسلّح في وضعية تقدّم، مجهول الملامح يبدو كقطع اللعب التي يهوى الأطفال تحريكها واللعب بها.

قد يحيلنا المقابل التشكيلي لصورة الجندي إلى استشفاف معالم التوتر الوجودي التي تحيط بالرواية، فالجندي يرمز إلى القوّة والعنف اللذان يتجسّدان في فعل القتل

(1) سمير عبد الرحيم أغا، عتبات النص الروائي- رواية الصندوق الأسود أنموذجاً، مجلة الحوار المتمدن، العدد:

3351، بتاريخ 30 أبريل 2011، على موقع: <http://www.ahewar.org/guest/static.asp>

والاغتيال، وكذا القيم والأنساق الفكرية والسياسية والاجتماعية التي تتخبط ضمن أجوائها شخصيات العمل. والجندي عادة ما يرمز إلى القوة التي تدافع عن البلاد وتصد عنها هجمات الأعداء؛ هذا في حال لو كانت صورة الجندي المجسدة على الغلاف حقيقية واقعية. أما وهي قطعة بلاستيكية بالشكل الذي تعكسه واجهة الغلاف، فهذا يحيلنا إلى القول بأن الجندي هاهنا تحوّل إلى لعبة في يد النظام، خصوصاً إذا ما نظرنا إلى الفترة التي تغطيها الأحداث التي تدور بعد أربع سنوات من انطلاق الحرب بسوريا عام 2015.

### ثانياً: عنوان الرواية

العنوان مصطلح إجرائي ناجح في مقاربة أيّ عمل إبداعي أدبي، كونه يجسّد أوّل لقاء يسجله المبدع مع المتلقي، والعنوان باعتباره "عتبة نصّية وعلامة سيميوطيقية يقوم بوظيفة الاحتواء لمدلّول يحيل إلى نص خارجي يتناسب معه ويتلاقح شكلاً وفكراً"<sup>(1)</sup>، هو نص موازي يفتح شبيهة القارئ ويستفزه ليحفّر في دهاليز النص. هو كعتبة نصية أكثر من أن يُنظرَ إليه على أنّه عنصر إثارة وجذب فحسب، بل يُعطي للنص هويته التي تحرّر جوانب جوهرية من دلالاته وتُحرّز له القدرة على الوجود والتواجد. وعليه يبدو (الموت عمل شاق) عنواناً مُحَرِّضاً على القراءة بما يحمله من امتداد لدلالات عميقة مباشرة لمشهد الموت الدامي بالأراضي السورية ولكميّته الفائضة من بين سطور الكتابة ولمرارة الألم النابض من حشايها الشخص. هي المتاهة التي ابتلعت أحلام الشعوب وسط الصراعات الإيديولوجية الثقافية والاجتماعية والنفسية التي عرفتها البلاد والتي بدأت بمظاهرات تطالب بالحرية وتطوّرت حتى أصبحت مسرحاً لحرب عالميّة ثالثة عبثية، حيث بات الجميع إمّا لاجئاً أو مقاتلاً. ومع أنّ الموت لم يوقّر منطقة أو طائفة أو طبقة اجتماعية تسكن البلاد، إلّا أنّه أصبح عملاً شاقاً على الأحياء لدرجة أنّه صار فعلاً لا يستدعي الانفعال، بل هو خلاص يثير حسد الأحياء. فالمتعارف عليه فيما مضى أنّ مرور موكب جنازي كان يثير التعاطف، تتوقّف السيّارت لتفسح الطريق، يتنحى المارّة جانباً وقلوبهم وأعينهم معلّقة بالموكب يترحمون على الفقيد ويدعون له بالثبات على السّؤال، لكنّ في هذه الرواية مثّل

(1) جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الوطني الأعلى للأدب والفنون، الكويت، مجلد 25، عدد 03، 1997 م، ص 34.

مرور جنازة عبد اللطيف السالم حدثاً عادياً لم يستثر إلا حسد الأحياء الذين تحولت حياتهم إلى انتظار لعذابات الموت الذي يترصص بهم بين أزقة المدينة، والذي على الرغم من انتشاره أصبح أمراً شاقاً على الإنجاز من قبل الأحياء.

### حول أحداث الرواية وتشكيل الوقائع السردية

ترصد الرواية حكاية ثلاثة أشقاء: بلبل، حسين وفاطمة في رحلة دفن لجثة والدهم عبد اللطيف السالم، المشهور بكونه معارضاً بارزاً للنظام، هو الذي توفي في دمشق بعد انتقاله إليها بفترة قصيرة، وبالتحديد إلى حارة موالية للنظام تنظر إلى كافة سكان حي "باب عمرو" بأنهم مع المعارضة، وأوصى ابنه بلبل بدفنه في قرية العنابية لجوار قبر شقيقته ليلي. هناك وعلى مدار ما يقارب المائة والخمسين صفحة يصطحبنا خالد خليفة بأسلوب سردي محكم ومتجانس يجذب القارئ منذ السطر الأول وحتى آخر كلمة فيها، إلى حيث الحرب في مدن وبلدات وشوارع وأزقة سورية، والحروب الداخلية لكل من أبنائه الثلاثة والشخصيات الهامشية.

ينطلق البرنامج السردى لخليفة من فكرة "تحول الجسد الحميم، جثة الأب، إلى عبء ثقيل" في زمن الحرب، وتتحول الوصايا البسيطة إلى أشغال شاقة تختبر فيها النفس البشرية آخر نبضها<sup>(1)</sup>. إذ ذاك جسدت الرواية "ورطة الجسد الفاضل أو الجسد الخارج عن الخدمة ومواجهة المثل الجبان (الحي أبقى من الميت)"<sup>(2)</sup>. حيث تحكي هذه الأخيرة رحلة رجلين وامرأة قرروا تنفيذ وصية والدهم المتوفى بدفنه في قريته "العنابية" ويكون الانطلاق من مدينة "دمشق"، هؤلاء الأبناء الذين عاشوا أربع سنوات متفرقين. تنطلق أحداث الرواية بعد طلب الوالد "عبد اللطيف السالم" من ابنه الأصغر "بلبل" أو "نبيل" أن يدفنه قرب أخته "ليلى" المنتحرة من أربعين عاماً، وقد استطاع الأب أن يحصل على وعدٍ من ابنه بتلبية رغبته الأخيرة ليجد الأشقاء الثلاثة أنفسهم في ورطة حقيقية أظهرت لهم حقيقة أن الموت عمل شاق: "بلبل في لحظة شجاعة نادرة، وتحت تأثير كلمات الفراق الأخيرة وعيني أبيه الغائمتين الحزينتين، تصرف بثبات ودون خوف، ووعد أباه بتنفيذ وصيته التي كانت

(1) كمال الرياحي، الموت عمل شاق -رواية تلخص المحنة السورية-، شبكة الجزيرة الإعلامية، بتاريخ

www.aljazeera.net، على موقع: 2016/01/05م،

(2) المرجع نفسه .

برغم وضوحها وبساطتها مهمة شاقة<sup>(1)</sup>، لكن "شعر بلبل بالندم لأنه لم يكن حازماً، كان يجب عليه أن يخبر أباه بصعوبة تنفيذ هذه الوصية في مثل هذه الأيام"<sup>(2)</sup>.

استغرقت حكاية الأشقاء الثلاثة فعليا ثمانية أيام، حيث دامت الرحلة من دمشق إلى حلب أين تقع المنطقة الهدف: "العنابية" لإيصال الجثة إلى مثواها الأخير ثلاثة أيام، وهذا حسب ما جاء على لسان الراوي عن الأخوين بلبل وحسين: "شعرا بانتهاء مهمتهما وعلاقتهما على حدٍ سواء، كأن الأب أراد لهما اختبار كل شيء في هذه الأيام الثلاثة"<sup>(3)</sup>، ثم قيامهم بإجراءات الدفن والعودة مرة أخرى إلى دمشق استغرق خمسة أيام، حيث جاء في الرواية: "على بوابة دمشق التي وصلوها مساءً، نزل بلبل ورفع يده مودّعا حسين دون أي كلمة، أعجبه صمته خلال الأيام الخمسة الماضية"<sup>(4)</sup>. لكن تمتد الأحداث الثانوية المسرودة في الرواية إلى فترة أطول بكثير، هي تمتد إلى أكثر من خمسين سنة، وهي الأحداث التي استرجعها الأشقاء الثلاثة خلال فترة قيامهم بمهمتهم الشاقة، كما تمسّ بشكل أساسي أحداث الثورة والصراع المسلح في سوريا. فقد ابتعد الروائي عن الطريقة الكلاسيكية المبنية على الترتيب الكرونولوجي المتسلسل للأحداث واعتمد تقنية الاسترجاع لإعطاء معلومات جديدة خاصة بالأشقاء والأب "عبد اللطيف السالم"، وبعض الشخصيات الثانوية التي كانت لها بهم علاقة.

وهناك تنوعات فيما يخص الاسترجاع، فهناك استرجاع قريب للأحداث الأساسية للرواية يتعلّق بمرحلة ما قبل وفاة الأب: مرضه، وإجراءات نقله إلى المستشفى ومحاورة الطبيب... إلخ. واسترجاع بعيد يرجع إلى فترات زمنية بعيدة تسبق زمن الرواية الفعلي، لكتّابها تكشف عن جوانب هامة تتعلّق بالشخصيات الرئيسة في الرواية مما يساعد على "ملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسارات الأحداث"<sup>(5)</sup>، وهذا النوع كثير الورد في

(1) خالد خليفة، الموت عمل شاق، دار نوفل، مكتبة الفكر الجديد، (دط)، بيروت، لبنان 2016-م، ص 05

(2) الرواية، ص 6.

(3) الرواية، ص 35.

(4) الرواية، ص 151.

(5) سيزا قاسم، بناء الرواية - دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ-، مكتبة الأسرة، (دط)، مصر 2004-م، ص 55.

الرواية، يُمكن التمثيل له من خلال إشارة الراوي مثلاً إلى إخبار "عبد اللطيف" ولده "بلبل" عن زواجه من "نيفين"، وبعض التفاصيل التي جمعتها بها، وكذا عن ابنها، يحكي الراوي خليفة: "لم ينتظر أبوه كثيراً ليخبره أنّه وَرَعَ ثياب أمّه على من بقي من سگان رغم الحصار. . . مضيفاً "نيفين والشهداء يحبّون الحبق"، ولم يمهله للسؤال، أخبره بلهجة حيادية بزواجه بنيفين، وهي التي دفعت به للخروج من المدينة المحاصرة " (1). ويضيف: "نيفين أتمّت السّتين من عمرها، ومازالت يانعة وجميلة. . . ابنها البكر هيثم تخرّج من كليّة الطبّ قبل أشهر قليلة من الثورة، وابنها الصغير رامي في الثانية والعشرين من عمره، تخرّج من المعهد المصري قبل سنة. . . وبعد أسبوع واحد رنّ جرس الهاتف في منزل نيفين، كان المتحدث ضابطاً رفيعاً في المخابرات، طلب منها تسلّم جثمان ابنها" (2)، ودُفن في المقبرة التي تبرّعت أمّه بأرضها وانتقلت للعيش في منزل قريب من منزل عبد اللطيف أين قاسمته العناية بالمقبرة لتترك له مهمة الاعتناء بها (3). كما يُضمّن حديثه عن ذكرياته مع "نيفين" - التي كانت تشاركه عمله في المقبرة- إشارة إلى تاريخ مهم جداً هو بداية المحنة السورية و انطلاق الحرب الأهلية بين الأشقاء السوريين: "في الأيام التالية أصبحت التظاهرات دون موعد وشبه يوميّة، وفي ربيع 2012 -م استعدّ الجميع للاحتفال بالذكرى السنويّة الأولى للثورة. أصبح وجود الشباب المسلّحين أمراً عادياً" (4).

الملاحظ في الرواية أنّ عملية الاسترجاع لبعض الأحداث لا تأتي متسلسلة تسلسلاً منطقياً ولا يأتي استرجاع الحدث الواحد مرة واحدة وبشكل نهائي، بل تُسجّل تلاعباً في ترتيب تفاصيل الحدث الواحد، فضلاً عن ذكره عدّة مرّات مُتفرّقة لإضافة تفاصيل أخرى. من ذلك ما تعلّق بالأب "عبد اللطيف السالم" حيث جاء الإخبار عن موته ومرضه ثم زواجه "بنيفين". والحدث الأكثر تكراراً هو حادثة انتحار أخته "ليلى" حرقاً يوم زفافها. فقد ذُكر أكثر من ست مرات ولكن ليس بشكل حرفي، ففي كلّ مرّة كان الروائي يأتي به بشكل مختلف، من ذلك: "قالوا إن ليلى انتحرت لأنّها مصابة بجذام لا يمكن الشفاء منه، كما قالوا إنّها كانت قبيحة وتخفي عيباً خلقياً، وصورتها جميلة كانت وهماً. . . بقيت

(1) الرواية ص 59.

(2) الرواية، ص 123.

(3) ينظر: الرواية، ص 125.

(4) الرواية، ص 126.

السيرة الأشد نصاعة: ليلي فتاة جميلة جداً، وقوية، ولم تقبل حياة ذليلة اختارها لها الآخرون، لذلك اختارت موتها بنفسها<sup>(1)</sup>. وأيضاً: "قبل خمسين عاماً حمل حقيبتها المصنوعة من التنك وغادر القرية، لم يستطع حتى مؤازرة أخته ليلي في رفضها الزواج برجل لا تحبه، كانت تقول أحرق نفسي، ولا أتزوج برجل له رائحة البصل العفن"<sup>(2)</sup>.

ففي هذا المقطع توضيح أكثر لطريقة انتحار الفتاة ألا وهي "الحرق"، وإشارة إلى خُذلان أخيها لها وعدم مساندتها في محنتها. وتكرر ذكر عدم مساندته لها في مقطع آخر حيث يقول الراوي: "لم يحترم ضعفهم، ولم يتذكر ضعفه، وعدم استطاعته الهرب مع أخته ليلي إلى أي مكان بعيد عن سطوة العائلة، انتظر أن تُصبح رماداً، بعدها صرخ صرخة مكتومة، ورحل عن العنابية التي يريد العودة ليُدفن فيها"<sup>(3)</sup>. ولأنه لم يستطع مساعدتها بقي ذلك الأمر يُنغص عليه حياته ويُشعره بالذنب، جاء على لسان خالد خليفة: "بلبل غير مهتم على الإطلاق، الشيء الأكيد بالنسبة إليه أن جثة أبيه في هذه الساعة قد أصبحت تحت التراب، تعانقت مع عظام أخته الحبيبة التي بقيت صورتها محترقة تقصّ مضجعه إلى يومه الأخير، لم تتركه يوماً دون تذكيره بجبنه، عدم دفاعه عنها جعله شريكاً في انتحارها، واختيارها الحرق على سطح المنزل يوم عرسها رسالة واضحة للجميع، لن تسامحهم. كانت تستطيع الانتحار بطرق شتى، لكنها تريد لحكايتها أن تعيش"<sup>(4)</sup>. وهذا ما جعل "عبد اللطيف السالم" يُصرّ على أن يُدفن قرب قبر أخته "ليلى" التي ظلّ إحساسه بالذنب اتجاهاً يُعذّبه.

اعتمد الروائي لغة عربية فصيحة مع توظيفه لبعض الكلمات العامية والأجنبية التي تظهر خصوصية بيئة الأحداث الاجتماعية والثقافية واللغوية مثل: (دوبل كابين/ أوتو ستراد/مخلوق على الزيرو/وجبات بروسند الدليفري/ البالطو/حبة أسبيرين/ غولف موديل/شحاطة بلاستيكية/موبايل/الشوفاج/كاسيتات/ وبعدين/ جاكيتة/تاكسي). كلّها لتعزيز الواقعية أكثر على أحداث الرواية وزيادة التأثير في المتلقي. وقد اعتمد الكاتب أيضاً

(1) الرواية، ص 61، 62.

(2) الرواية، ص 89.

(3) الرواية، ص 101.

(4) الرواية، ص 148.



تواريخ دقيقة فضلاً عن تحديده لزمان بعض الأحداث بالأيام والساعات والدقائق<sup>(1)</sup>. من ذلك (قبل موته بساعتين/منذ ساعة/منذ عشرين سنة/منذ ثلاث سنوات/منذ عشر سنوات/منذ ثلاثة أشهر/ بعد ربع ساعة/ قبل أربعين سنة/قبل أعياد الميلاد بأسبوعين/قبل ساعتين من صلاة الظهر/بعد نصف ساعة/منذ ثلاثة أشهر/قبل يومين/قبل موته بثلاثة أيام/بعد أربع سنوات)<sup>(2)</sup>.

قسّم الروائي عمله إلى ثلاثة فصول، جاء الفصل الأول بعنوان (لو أنّك أكياس كمون). وهو في الأصل مأخوذ من متن الفصل الأول: "كان حسين في مكانه أمام المقود ينظر إلى الساعة بغضب، يتمتم بكلمات غير مسموعة، اقترب منه أحد سائقي الشاحنات الصغيرة وقال بصوت مسموع «لن تمرّ البضاعة دون رسوم». بسرعة ترك حسين الميكروباس، ولحق بالضابط إلى الغرفة الصغيرة، دفع الرشوة التي سُميت رسم العبور وعاد بهويّاتهم، كان يشعر بانتصار غريب وهو يغادر الحاجز مسرعاً، بلبل فكّر أنّ أباه بضاعة كفحم النرجيلة وصناديق البندورة وأكياس البصل<sup>(3)</sup>. و في مقطع آخر: "حين كان بلبل يرى الشاحنات تعبر بسهولة، تمّى لو تحوّلت جثّة أبيه إلى أكياس كمون، وهو أمر ليس سيّئاً إلى الدرجة التي يتخيّلها البعض، ثم إنّ التفاهم بشأنها سيكون سهلاً والخطر أقل"<sup>(4)</sup>.

تلاه الفصل الثاني ابتداءً من الصفحة 53، عنوانه: (لحظة المكاشفة في الحبّ تشبه باقة ورد تطفو على صفحة نهر)، يقول: "يجب التقاطها في الوقت المناسب، النهر سيجرفها ولن تنتظر طويلاً، هي لحظة مكثّفة للاعتراف بال رغبات العميقة. كثيراً ما رأى

(1) تُسمى هذه التقنية في علم السرد بالحذف أو القطع ويُؤتى به لتسريع السرد، وذلك عن طريق تجاوز السارد لأحداث معينة حيث يكتفي الراوي بإخبارنا أن سنوات أو أشهر مرّت، دون أن يحكي عن أمور وقعت فيها. تتم الإشارة عادة إلى ذلك بالقول "مرّت سنتان" أو "انقضى زمن طويل" أو "بعد أيام" أو "مرّت أشهر" وما إلى ذلك. وقد يكون ذلك الزمن المحذوف مُحدداً بدقّة أو يأتي غير محدد. يُنظر: حميد لحمداني، بنية النص السردية-من منظور النقد الأدبي-، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص77. وينظر أيضاً: يمني العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنوي، ط3، دار الفرابي للنشر، بيروت، لبنان، 2010، ص125.

(2) ينظر: الرواية ص05، ص08، ص16، ص19، ص20، ص38، ص44، ص60، ص75، ص91، ص92، ص100، ص110، ص127، ص146.

(3) الرواية، ص16، ص17.

(4) الرواية، ص33.

بلبل باقة الورد طافية، ساكنة تتأرجح بنعومة قريباً من يده، بمتناولها. تكون لمياء هناك، تنتظر أن يقول أي شيء، خاصة بعد عودتها من العطل الطويلة، لكنه يبقى صامئاً كعادته، أو يقترح الذهاب للسير في شوارع باب توما، فيعود حبل الثرثرة بينهما من حيث توقف، بينما يجرف النهر باقة الورد بعيداً<sup>(1)</sup>.

يحكي الفصل قصة حبّ للمياء وإضاعته فرصة زواجه منها: "مئات المرات أضع فرصة التقاط باقة الورد القريبة منه، كان في أعماقه يعتقد أنها إلهة تستحقّ العبادة، يكفيه لمسة منها، لا يتخيّلها زوجة تقطع شرائح البصل، وتفوح رائحة الطبخ من ثيابها، لقد ضاع كلّ شيء الآن... أقنع نفسه، مجرد الحفاظ على صداقتها معجزة تستوجب شكر الربّ عليها"<sup>(2)</sup>.

وامتدّ الفصل الثالث ابتداء من ص 129 وجاء عنوانه: (بلبل الذي يطير في مكان مظلم) كملخص عام للرواية بأكملها. إذ ذاك دارت أحداث الرواية في سياق زمني غطى الفترة الممتدة على مدار أربع سنوات من انطلاق الحرب ضدّ النظام بسورية عام 2011-م.

لم تقم الرواية على وثائق قانونية ولا على مصادر ذات أصل تدويني يمكن الرجوع إليها أو تمّ الرجوع إليها، إنّما قامت على ذاكرة وأفكار شخص واحد: الراوي حيث سجّل هذا الأخير حضوراً مكثفاً يهيمن على خطاب الرواية. الأمر الذي قلّل من المقاطع الحوارية و التي ورد منها استثناء قوله: "قال الطبيب لبلبل: يموت الكثيرون كلّ يوم، يجب أن تكون سعيداً لأنّه وصل إلى الشيخوخة. بلبل لم يكن سعيداً كما رغب الطبيب لكنّه تفهم قصده"<sup>(3)</sup>. في هذا المقطع تدخّل الراوي مباشرة بعد كلام الطبيب دون أن يفسح المجال لبلبل بالردّ على لسانه.

كما ظهر المونولوج في مقاطع أخرى دائماً على لسان الراوي: "شعر بلبل بورطته وهو يسهب في التفكير، حدّث نفسه بأنّه حقّاً عنكبوت عالق في شباك النسيان لا أحد يذكره سوى لمياء، غيابه لن يسبّب ألماً لأيّ كائن، حتى سؤال لمياء عنه كلّ فترة هو نوع من

(1) الرواية، ص 54، 55.

(2) الرواية، ص 55.

(3) الرواية، ص 07.

الشفقة ليس أكثر<sup>(1)</sup>. و أيضا في قوله: "أيّ أشياء تعنيه بعد فقد لمياء؟. يسأل نفسه ويجيب: لا شيء، النظام يسمح له بتناول ما يشتهي من الطعام والشراب، وقضاء أوقات فراغه في مشاهدة أفلام السينما المصريّة القديمة، يكفيه القليل، ماذا سيصنع بالحرية؟ فقد كلّ أحلامه ومن الصعب كسر الشرنقة، وإعادة تكوين ذاته، تأخّر الوقت كثيرا، لقد تجاوز الأربعين"<sup>(2)</sup>، فالكلام هنا يأتي دوما على لسان الراوي، ليس على لسان بلبل.

من جهة أخرى اتّسم أبطال الرواية بسمات الثبات ما جعل سلوكياتهم مرآة عاكسة للواقع، هم أبطال عاديون يشبهون الجميع، تخبّطهم ظروف الثورة و دفعتهم عنوة إلى تغيير مصائرهم و أجبرتهم على التعايش معها رغم قساوتها غير المحتملة. الإخوة الثلاثة: "بلبل"، "حسين" و "فاطمة" ثلاث شخصيّات اختارهم الروائي عيّنة تمثّل واقع الحرب وتأثيره على الأفراد والعائلة والذاكرة الجماعية. يسير الأخوة الثلاثة مع جثّة والدهم محاولين تحقيق أمنيته الأخيرة بدفنه في مسقط رأسه لجوار قبر أخته. يغادر الثلاثة في رحلة نحو الموت وسط الخراب والدمار والجثث والمسلّحين والمخابرات والإرهابيين، يتنقلون مع الموت (الجثة) إلى الموت بعينه عبر حواجز أمنية وثكنات عسكريّة خنقت مدن البلاد. يعيش الإخوة الثلاثة و بالأخص "بلبل" حالة من الفزع النفسي بين واجب تنفيذ وصية الوالد بدفنه في مسقط رأسه في إحدى قرى حلب، وبين الخوف من المجهول الذي ينتظرهم طوال رحلة نقلهم لهذه الجثمان. "حسين" من جهته هو الأخ الذي اختار العيش على هامش الحياة، واكتفى بأداء بدور المتفرّج فيها، هو مجرد سائق لراقصات الملاهي في آخر الليل. في حين كانت "فاطمة" البنت التي لطالما حلمت بالزواج من رجل ثري له أن يسعدها، فتزوّجت مرتين على أمل الظفر بذلك، وانتهى بها المطاف خرساء بكماء مصدومة. كما سجّلت شخصيات أخرى ظهورها، إذ ربطتها علاقات بأبطال العمل الرئيسية دون أن يتعمّق الروائي في تفصيلها، كشخصية "لمياء" وعلاقتها ببلبل، وزواجها من "زهير"، فضلا عن شخصية "فاطمة" بنت "عبد اللطيف السالم" وزواجها ثم طلاقها، وضعف شخصيتها، بالإضافة إلى حادثة إحراق "ليلي" أخت "عبد اللطيف" لنفسها يوم زفافها،

(1) الرواية، ص 132.

(2) الرواية، ص 131.

وهذا الاسترجاع كان سببا في الألم الذي ظل يطارد والدها الذي مات متحسرا على ما فاتته، وكذا ألم أخيها "عبد اللطيف السالم" الذي تخلّف عنها وقت شدتها.

هي شخصيات مأزومة كابدت المعاناة طوال رحلتها تنفيذا لمهمة رسمية مستحيلة بين دروب الموت.

### التيّمات البارزة في الرواية

تناولت الرواية موضوعات عدّة: الموت، العنف والخوف، يتماهى بعضها ببعض، موضوعات ليست فلسفية بالقدر الذي تبدو فيه واقعية، ضمّت أحداثا وأحاديث وأفكار تزدهر بها عقول أبطال الرواية عن قضايا الموت والحياة، عن الزمان والمكان، عن الفرد والمجموع، عن الحرب والسلم، عن القتل، باختصار هي موضوعات يمكن القول عنها أنّها في المجمل تختزل معاناة الأحياء كما الأموات.

#### أولا: تيمّة الموت

مثّلت تيمّة الموت مادّة خصبة لكثير من المبدعين في الكثير من البلدان، حيث عرف الموت كموضوع فكري وأدبي وفلسفي تحوّلات عديدة مسائرةً للتحوّلات التي عكستها المجريات السياسية في معظم البلاد العربية، الأمر الذي جعله همّا و هاجسا تتخبّطه الشعوب المغلوب عليها بالمجان.

لخصّت الرواية بداية من عنوانها موضوعة الموت الذي تحوّل إلى إنجاز شاق لا يتحمّل أعباءه الحياء، إذ يصوّره الروائي كحدث عادي لا غرابة من حدوثه. يقول خالد خليفة: "أسوأ ما في الحرب تناسل الأفعال الغرائبية، وتحوّل القصص المأساوية إلى حدث عادي"<sup>(1)</sup>، إضافة إلى الاستهلال الذي جاء بمثابة لحظة ذروة بإعلان وفاة الأب عبد اللّطيف المؤيّد للثورة. وليس ببعيد عن ذلك هي تصوّر في مجملها من البداية حتى النهاية واقعا فروضا مقرونا بشقّي أنواع العجز: النفسي، الجسدي، الذهني، هذا الواقع الذي نعيشه بداية من عنوان الرواية حتى نهايتها.

(1) الرواية، ص 18.

أمام هذا الواقع المفروض تظهر تيمة الموت عدوا يترصّ بالأحياء عليهم التحسّب و الانتقام منه. يقول " فكرة موت عدوك لا تكفي لإطفاء نار الانتقام داخلك، بل يجب أن تكون قاتله لشفاء غليلك "(1). هذه الحالة من الموت التي فرضت نفسها على الحياء مجبرين لا مخيّرين، حيث " خطأ الحياة المناققة قد يكون ثقيلاً إلا أنه لا بد منه في النهاية " (2)، و " من الصعب اكتشاف أنك عبارة عن وهم،... وما أنت إلا حذاء قديم يسير وسط الحشود "(3). فالموت هنا يمتدّ على مساحات شعورية أخرى تولّد أجواء سوداوية قاتمة حزينة تحكمها حالات من الكآبة و الإحباط، تنفتح على حالات شعورية أخرى تخبّطها الشخصيات في رحلتها الكابوسية.

### ثانياً: تيمة العنف

تتمحور الرواية حول موضوع العنف الذي يُعدّ ظاهرة إنسانية، مظاهرها عديدة ومختلفة، من قتل وجريمة وإرهاب وحروب، وقد ازداد في السنوات الأخيرة الاهتمام بهذه الظاهرة لاسيما بعد أحداث 11 ديسمبر في 2001 والعشرية السوداء في الجزائر وثورات الربيع العربي في عدد من الدول العربية بما في ذلك سوريا. وقد سايرت الرواية الخطاب السياسي والتاريخي والواقعي والنزوع الإيديولوجي (4)، ومادامت " السياسة اليوم في العقدين الأخيرين بداية من تسعينات القرن الماضي وانتهاءً بموجة الثورات العربية أو ما اصطلح عليه باسم الربيع العربي- همّ المواطن العربي الأول والمسؤولة عن تحديد مصيره وطبيعة مشكلاته بل والكفيلة بحلها- ليس غريباً بعد هذا أن يكون هذا الإقحام موضوعياً وطبيعياً بل مرحباً به وضرورياً فالرواية بحكم طبيعتها الفنية أكثر الفنون قدرة على تقبل هذا الاقتحام والرضا به " (5).

بالنسبة لرواية (الموت عمل شاق) لا تكاد تخلو صفحة من صفحاتها من مناظر العنف أو تفصيل لطريقته أو كشف لأثره في المجتمع السوري. سلّط الروائي من خلالها

(1) الرواية، ص 94.

(2) الرواية، ص 135.

(3) الرواية، ص 129.

(4) ينظر: مليكة ضاوي، تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية (1995-2005) -دراسة موضوعانية فنية-، دكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2014/2015، ص 209.

(5) المرجع نفسه، ص 166.

الضوء على الأحداث الدامية التي عاشها المجتمع السوري في الأعوام الأخيرة. حيث تتلاحق المشاهد المجسدة للمأساة السورية بكل أبعادها ومظاهرها. وقد أبدع هذا الأخير في نقل مشاهد الدمار والخراب الذي خلفته الحرب في سوريا، والتي أحالت الموت حالة عادية يُعاشها المواطن السوري يوميا، ليُصبح الحصول على قبر للميت وتنظيم عزاء له من باب الترف والحظ السعيد. ف" القتلى في كل مكان، يُدفنون في مقابر جماعية، ودون تدقيق في هوياتهم. مراسم العزاء حتى بالنسبة للعائلات الغنية اختصرت إلى ساعات قليلة، لم يعد الموت كرنفالا يستحق إعلان النفوذ. قليل من الورد، معزّون قلائل يتشاءبون في صالة شبه فارغة لمدة ساعتين. مقرئ يتلو سوراً قليلة من القرآن بصوت منخفض، وينتهي كل شيء<sup>(1)</sup>". وبالنظر إلى مضمون الرواية والذي يتحدث عن الموت والعنف المسلح في سوريا، فقد جاءت لغة هذه الرواية عنيفة تعكس هذا المضمون (هياكل دبابات، سيارات عسكرية محترقة، وكثير من الموتى، الهياكل العظمية، القرى المهجرة، الجرحى المرميين، جموع المشيعين، القتل، الذبح، الحرق، الجثث المبتورة الأصابع، الدم المخثر، المعارك، الرصاص، القذائف، جروح، القصف، التعذيب... إلخ).

من أبرز أنواع العنف الحاضرة في الرواية العنف السياسي الذي مثل محور الرواية ومدار أحداثها الرئيسية وأغلب أحداثها الثانوية، وكذا العنف الأسري المتمثل في سلطة الأب على أبنائه.

### ثالثا: العنف السياسي

صوّر الروائي على مدار صفحات عديدة بشاعة العنف السياسي الذي يتعرض له الشعب السوري بدءاً من بداية الحرب السورية، مُتخذاً من حكاية الأشقاء الثلاثة في مهمتهم الشاقة نموذجاً بسيطاً لتوضيح مظاهر العنف المسلط على السوريين الأبرياء. فقطع مسافة من مدينة دمشق إلى ريف حلب حيث توجد قرية "العنابية" أيام السلم قد لا يتجاوز الساعتين لكن وفي ظل الحرب المعلنة قطعها الأشقاء الثلاثة في ظرف ثلاث أيام تعرضوا خلالها لمختلف أنواع العنف والتعذيب النفسي. حيث اضطروا إلى اجتياز عدد من الحواجز التي تحكمها ثلاث فئات هي: - الجيش النظامي ومعاناتهم بسبب كون والدهم

(1) الرواية، ص 6.

"عبد اللطيف السالم" مطلوباً منذ سنوات. -الجيش المنشق (الحر). - تنظيم ما يُعرف بالتنظيم الإسلامي المتشدد (داعش). واضطراهم إلى دفع رشاي (رسوم العبور) في عدد من المعابر. من صور هذا العنف الجثث المتراصة والمقابر الجماعية والضحايا مبتوري الأعضاء جراء التعذيب أو القصف، احتجاز أشخاص بدل آخرين مطلوبين لصلة قرابة بينهم، أشلاء بعض الموتى المختلطة بعظام حيوانات نافقة، منازل مدمرة وقُرى مُهجّرة بالكامل، قصف متوالي على بعض المناطق السورية، معاملة لا إنسانية وعنف لفظي وجسدي، والحصار... إلخ. ومن أقوى المقاطع المعبرة عن ذلك ما ورد في الرواية: "اعتاد صوت تحليق الطائرات والمدفعية وراجمات الصواريخ التي لم تهدأ منذ ثلاث سنوات، القصف على القابون وجوبر لم يتوقف. يستطيعون رؤية آثاره على الأبنية المرئية من الأوتوستراد... لم يحتج بلبل، ناوله قسماً من النقود التي بقيت معه. في أعماقه لم يقبل معاملة جثة أبيه بهذه الطريقة المهينة، لكنّه تذكّر آلاف الجثث المتروكة في العراء للطيور الجارحة والكلاب الجائعة، وجد أنّهم محظوظون، حاول نسيان الجثث الأربع المرمية في منتصف الأوتوستراد ولا أحد يجرو على الاقتراب منها... (1)".

وكذا قوله: "لقد اعتقلوا الجثة، الأب كان مطلوباً لأكثر من فرع مخبرات منذ أكثر من سنتين. كانت الزنزانة مكتظة، أكثر من عشرين شخصاً أعمارهم مختلفة، من بينهم امرأة مسنة تتجاوز السبعين من عمرها، أخبرت فاطمة، دون سؤال، أنها رهينة بدل ابنها الذي انشق عن الجيش في السنة الماضية، أيضاً شابّ يده مقطوعة لا يتجاوز العشرين من عمره مع رفيقين بمثل عمره، أخبرهم بشكوك المخبرات في قطع يده في الاشتباكات، لا في حادث سيارة قديم، أضاف أنّه ورفاقه في طريقهم لركوب البحر من تركيا إلى اليونان والهجرة إلى السويد، يعتقد أن قصّتهم لن تنتهي ببساطة، فقيدهم نفوسهم على البطاقة يشير إلى بابا عمرو في حمص، لقد اعتادوا أمر التوقيف. آخرون يتعالى صوت شخيرهم أو يحدّقون في الزاوية المظلمة بصمت، هيئتهم تدلّ على أوضاعهم المزرية، لقد قضوا وقتاً طويلاً، علامات الضرب على وجوههم، أحدهم ثيابه ملوثة بدم متخثر، رأسه مربوط بقميصه (2)". مقطع آخر: "غادرو القرية فجراً، الضوء القليل كشف لهم حجم

(1) الرواية، ص 19.

(2) الرواية، ص 25، 26.

الكارثة، كأنّ أرواحاً ما زالت تئنّ تحت الركام، قطع ملابس الموتى ممزقة، بقاياهم وأشلائهم تتناثر في الحقول المهجورة، تختلط مع هياكل عظمية لأغنام وبغال نافقة، التهمت الكلاب ما استطاعت منها وتركت البقية للذباب، إنّه خراب عظيم مكتمل سمعوا عنه لكنهم الآن يواجهونه ويتشمّمون رائحته، رؤيته شيء مختلف تماماً<sup>(1)</sup>.

وعن كثرة عدد القتلى الذين سقطوا خلال ثلاث سنوات (2011-2014) سواء من المقاتلين أو المدنيين العُزل نساء ورجال وأطفال وعجائز، دفنوا في مقبرة واحدة وصل ألف وسبع مئة، قس على ذلك باقي مناطق النزاع والصراع المسلح. يقول الراوي عن عمل "عبد اللطيف السالم" في المقبرة، والتي اكتظت بعدد الضحايا "عمل عبد اللطيف ساعات طويلة كلّ يوم في تنظيم المقبرة، ورسم حدود الممرّات بين القبور، ترك أمكنة واسعة لزراعة الأشجار والورود... لم يتوقّع ازدحامها بعد سنتين بألف وسبع مئة قبر، نظمها في ثلاثة أقسام، قسم للمقاتلين الشباب الذين لم يتجاوز عمر أكبرهم خمساً وثلاثين سنة، والقسم الآخر لمدنيين ماتوا بقصف الطائرات وراجمات الصواريخ وكافة أنواع الأسلحة الثقيلة التي استُخدمت في القصف الذي لم يتوقّف منذ ثلاث سنوات، عائلات كاملة ماتت، أطفال ونساء ورجال وعجائز لم يستطيعوا المغادرة، أصبحت أرض الموت هي كلّ حياته"<sup>(2)</sup>.

وبعيداً عن التقتيل والتهجير ومظاهر الدمار في المباني والمنشآت، فُرض الحصار على بعض المناطق السورية مما جعلهم يُعانون الجوع والحرمان، وهي الإشارة التي تضمّنها المقطع الآتي يتحدث عن لحظات احتضار السيد عبد اللطيف: "اختار البقاء معهم رغم الحصار المفروض على البلدة منذ أكثر من ثلاث سنوات. حاول رفع يده ليلوّح لهم لكنّه لم يستطع، كان منهكاً وجائعاً، فقد أكثر من نصف وزنه، منذ أشهر لم يأكل وجبة طعام كاملة، ككلّ المحاصرين في البلدة"<sup>(3)</sup>.

وقد أشار الكاتب إلى العنف المُسلّط على الشعب السوري من قبل التنظيم الإسلامي المتطرف. فُصّل في إبراز معاملة الدالة على هويته منها: الأعلام السود، ووجود

(1) الرواية، ص 129.

(2) الرواية، ص 125.

(3) الرواية، ص 07.



عدد من المسلحين غير السوريين يتكلمون بلغة مغايرة ومن هويات مُتعددة، والقاضي الشرعي، وهو ما يظهر في هذا المقطع من الرواية "قطعوا القرى وأذهلهم منظر الأعلام السوداء المرفوعة على المباني البعيدة والقريبة... وصلوا إلى الحاجز ما قبل الأخير، كتل إسمنتية ضخمة موزعة بطريقة تجبر السيارات على السير ببطء شديد، مسلّحون بعيون وقربون يوجّهون بنادق قنّاصة، وجوههم مقنّعة وملابسهم سوداء، والعصابات على رؤوسهم تشير إلى انتمائهم إلى مجموعة متشدّدة احتلت الكثير من طرق ريف حلب الشمالي والشرقي، كانت الأخبار عن بطشهم مرعبة... تقدّم نحوهم ثلاثة مسلّحين تدلّ لهجاتهم على أنّهم غير سوريين، أحدهم تونسي يُحاول التحدّث بلغة عربيّة فصحي<sup>(1)</sup>.

وقد رافق الرّعب النفسي الأخوين "حسين" و"بلبل" وهما ينقادان إلى المبنى (مقرّ إمارة التنظيم) الذي كان سابقا دائرة حكومية جراء ذبوع صيت بطش هذا التنظيم، وحوّلا إلى القاضي الشرعي، وبينما نجح "حسين" في الفرار والعودة إلى أخته "فاطمة" أُحتجز "بلبل" وبعد استماعه لأسئلة القاضي الشرعي وعدم استطاعته الإجابة عن أغلبها دُفع به بقوة داخل الزنزانة وأُجبر على أخذ دورة شرعية في أمور دينه. ليلة واحدة كانت كافية لتتجمّد حواسه ويستسلم لقدره. مع الفجر انقاد منكس الرأس رفقة عدد من الأشخاص ليتعلّم الصلاة بقوة السّلاح، يتوضأ بماء بارد ويعيد التعليمات وراء شخص مقنّع<sup>(2)</sup>.

#### رابعا: العنف العائلي (السلطة الأبوية)

وهذا النوع من العنف تجسّد في إرغام "ليلي" شقيقة "عبد اللطيف" على الزواج من رجل لا تُحبّه ومن ثمة قرارها الانتحار بأبشع طريقة وهي الحرق.

#### خامسا: تيمة الخوف

نضحت الرواية بمظاهر الخوف على مدار صفحاتها حيث صرّح الكاتب في غير موضع عن الخوف الذي عاشه أبطالها طيلة رحلة دفن جثمان والدهم، يقول: "تبادل الثلاثة الخوف. كلّ تقديراتهم ذهب أدراج الرياح، تأخروا أكثر ممّا يجب، قلّة السيّارات العابرة،

(1) الرواية، ص 139.

(2) ينظر: الرواية، ص 139-148.

الفراغ والبراري البعيدة، وكلّ شيء على الطريق يزيد من خوفهم"<sup>(1)</sup>. عرفوا الخوف من عدم حفاظهم على نظارة الجثة وتعقّبها فالوقت كان العدو الأكبر لهم وهوية والدهم (مطلوب). وقوله: "حجم الحقائق التي رواها المحظوظون بالخروج من الزنازين، وتداولها الناس في كلّ مكان مرعبة ولا يمكن تصديقها"<sup>(2)</sup>.

أكثر من ذلك، فأقوى مقطع للخوف إصابة "فاطمة" بالخرس بعد احتجاز أخويها لخمس ساعات بقيت فيها وحيدة رفقة جثة والدها التي تفسخت وخرجت منها الديدان ووصلت إليها: "خرج حسين من المبني، حين وصل إلى السيارة فوجئ بأنّ فاطمة أصيبت بالخرس، ساعات الانتظار الخمس كانت مرعبة، عطّلت حبالها الصوتيّة. أشارت بأصبعها إلى جثة أبيها التي تتناسل الديدان منها بكثافة، تحرّك بسيّارته، وغادر المكان المرعب مسرعاً كهارب، خاف أن تلتهمهم الديدان أيضاً"<sup>(3)</sup>، هاجمهم الكلاب الشرسة بعد شمّها لرائحة الجثة المتفسخة: "بلبل أصابه إحباط فظيع، فكّر لو استطاعت الكلاب الوصول إلى الجثة لمزقتها، بدأ يشعر برعب حقيقي من صورة أبيه، لقد أصبح جيفة تثير شهية الكلاب. إنها أكثر درجات انحطاط الجسد، أكثر من نصف ساعة والكلاب تزداد سعاراً، تأتي كلاب جديدة، حاصرهم قطيع من الكلاب. بدأ الخوف يتسرّب إلى قلب حسين حين بدأت ثلاثة كلاب بضرب بلور السيارة الأمامي بشراسة"<sup>(4)</sup>.

### خاتمة:

أخيراً وبالرغم من كلّ ذلك كان مشهد اعتقال جثة عبد اللّطيف علامة فارقة في الرواية بأكملها، جثة بقيت تنزّ مع توالي الأيام التي تنقّلت فيها عبر الحواجز لتدفن أخيراً متفسّخة في غير المكان الذي أوصى به قبل موته، مع فارق أنّها دُفنت في وطنها الأم. ممّا جعل الموت فعلاً عملاً شاقاً يصعب إنجازه وتحقيقه في الوقت الذي يحيط فيه الموت بالأحياء من كلّ صوب.

(1) الرواية، ص 18.

(2) الرواية، ص 27.

(3) الرواية، ص 142.

(4) الرواية، ص 115، 116.

## المراجع:

1. جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلد 25، العدد 03، مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الوطني الأعلى للأدب والفنون، الكويت، 1997.
2. حميد لحمداني، بنية النص السردى-من منظور النقد الأدبي-، ط1، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1991.
3. خالد خليفة، الموت عمل شاق، دط، مكتبة الفكر الجديد، بيروت، لبنان، 2016.
4. رياض معسوس، الرواية السورية في عامها الثمانين، الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية، العدد 14196، نشر بتاريخ: 10 أكتوبر 2017.
5. سمير عبد الرحيم أغا، عتبات النص الروائي-رواية الصندوق الأسود أنموذجا، <http://www.ahewar.org/guest/static.asp>، مجلة الحوار المتمدن، العدد: 3351، بتاريخ 30 أبريل 2011.
6. سيزا قاسم، بناء الرواية-دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ-، دط، مكتبة الأسرة، مصر، 2004.
7. عبد العزيز مشخص، أساسيات التصوير الفوتوغرافي، دط، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، 1434هـ.
8. علاء العبادي، ما معنى كلمة بانوراما؟، على موقع: <http://www.tvquran.com>، بتاريخ 03 سبتمبر 2011.
9. كمال الرياحي، الموت عمل شاق -رواية تلخص المحنة السورية -، شبكة الجزيرة الإعلامية، بتاريخ 2016/01/05-م، على موقع: [www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
10. مليكة ضاوي، تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية (1995-2005) -دراسة موضوعاتية فنية-، دكتوراه كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2014/2015.
11. هاجر مباركي، أزمة الرواية العربية في ظلّ المتغيرات الحضارية-الهوية بين التخلي والحنين-، مجلة مقاليد، العدد 08، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، جوان 2015.
12. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، ط3، دار الفرابي للنشر، بيروت، لبنان، 2010.